

تعليمية الترجمة السمعية - البصرية

جازية فرقاني

جامعة وهران - الجزائر -

mirdjaz@hotmail.fr

ملخص:

تعتبر الترجمة نشاطا إنسانيا أصيلا على الدوام أسهم في تفاعل الثقافات واللغات وتلاحقها وبنى جسورا بين الجماعات البشرية المختلفة مما يسر التواصل بينها فغدت بوابة تعبر منها الذات إلى الآخر أو يقتحم بها الآخر الذات وهذا "فيكتور هيجو Victor Hugo" قبل مائة سنة ونيف يقول: "إن المترجمين هم بناءة الجسور التي صارت الشعوب تعبرها للاتصال ببعضها" فوظيفة الترجمة الأولى إذن هي نقل الثروات الثقافية والمعارف المختلفة بين الأمم والشعوب.

لقد تميزت العقود الأخيرة من القرن العشرين بالانتشار الكبير والمميز للنصوص السمعية البصرية. أنتجت هذه الوضعية ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا وما أفرزته من انتشار واسع للقنوات الفضائية، بالإضافة إلى تطور البرمجيات الحاسوبية واتساع نطاق شبكة الانترنت وتزويدها بوسائل الترجمة الآلية الحاسوبية التي ستسهم في حسم مشكل السرعة لكن يبقى ذلك دائما على حساب الترجمة.

إن انتشار هذا النوع من النصوص المتعدد الأشكال يتطلب بالضرورة وجود ترجمة متخصصة ومترجمين متخصصين يقومون على إيجاد الأدوات التي من شأنها هدم الفجوة الملحوظة بين هذه النصوص وبين عملية نقلها إلى لغات أخرى والمعوقات الرئيسية التي تقف دون وصول الرسالة بالشكل الصحيح.

كلمات مفتاحية: تعليمية؛ ترجمة سمعية-بصرية؛ دبلجة؛ عنونة؛ تدريس؛ إستراتيجية؛ أهداف؛ بحث وثائقي؛ لغة؛ نص.

مفهوم الترجمة السمعية البصرية:

تندرج هذه الترجمة تحت لواء الترجمة المتخصصة "التي خصصت لها مجلة ميتا Meta" أعدادا خاصة بالترجمة القانونية (المجلد 15 العدد 01-1970) وللاقتباس في الترجمة الإشهارية (المجلد 17 العدد 01-1972) كما خصصت للترجمة في المؤسسة (المجلد 01 العدد 01-1976) لكن المنظرين في حقل الترجمة لا يحبذون عادة هذا النوع من التخصص¹ لأن الترجمة في نظرهم وإن اختلفت أنواع نصوصها تبقى دائما خاضعة للقوانين ذاتها ولل منهجية نفسها وسوف نحاول من خلال هذه المداخلة تبيان نقاط التلاقي بين مختلف أنواع الترجمة واختلافاتها الممكنة كما سنقترح منهجية لتعليمية الترجمة السمعية البصرية لطلابنا في أقسام الترجمة بوصفها تخصصا في مرحلة من مراحل تكوينهم.

وعندما نتحدث عن منهجية فليس معنى ذلك أننا نقدم وصفا صالحة لكل الوضعيات أي حلولا ناجعة لكل ما يواجه المترجم من صعوبات في تعامله مع هذا النوع من النصوص، وإنما هي مبادئ عامة يهضمها المترجم ويكيفها على حسب اختلاف الوضعيات التي يجد فيها نفسه بوصفه مترجما ممارسا لهذه المهنة.

نقصد بالترجمة السمعية البصرية، الترجمة المرتبطة بمختلف وسائل الإعلام أي ترجمة الأفلام (العنونة والدبلجة)، ترجمة الشرائط والرسوم المتحركة وترجمة المسرح والأوبرا ومختلف الخدمات التي تقدمها وسائل الإعلام المتعددة مثل شبكة الانترنت وبعض الأنظمة

التي اختصت في الترجمة الفورية وترى جوال رضوان أنه "من بين كل الترجمات المتخصصة الأكثر تميزا وتفردا هي ترجمة الأفلام قد يكون الأمر متعلقا بالدبلجة [...] التي تبدو مشكلتها الحقيقية في مواعمة ومزامنة حركة الشفتين [...] أو العنوان التي تقوم على تركيب خاص² وكي نوضح نوعية المشاكل والصعوبات التي تقوم عليها هذه الترجمة القائمة على _عملية التزامن بين الزمن والحركة من جهة وبين الرسالة اللسانية والقيمية المشهدة للصور من جهة أخرى. سنأخذ على سبيل المثال العنوان التي تفرض على المترجم إيجاد التوازن بين مختلف أبعاد هذه العملية، فهو مطالب بالتوليف بين ما هو لغوي وفيلمي وتقني وثقافي وإعلامي للحصول في النتيجة على نص أو خطاب احترام خصوصيات مختلف مكوناته الذي تداخلت فيه "العناصر اللغوية والمعجمية من جهة والعناصر الثقافية والتاريخية والسوسيوثقافية وحتى الثقافية العرقية"³ على حد تعبير يمينه هلال.

لقد جمعت الترجمة السمعية البصرية بين الكتابي والشفهي دون إقصاء الوسائل السمعية البصرية التي تدخل ضمن تكوين هذا النوع من الخطاب. فهو قائم على بنية لغوية منطوقة تتحول في العنوان إلى بنية لغوية مكتوبة والمترجم ها هنا يقوم بتقويض مكونات البنية اللغوية المنطوقة إلى بنية لغوية مكتوبة يجب أن تختزل الأداء والعلامة المصاحبة والإيماءة والإرشادات وغيرها من العلامات غير اللغوية ويرى "ايف جامبييه" "Yves Gambier": "أن الإشكالات الرئيسية التي يطرحها التحويل اللغوي في هذا النوع من الترجمات تتمثل في العلاقة بين الصورة والصوت والكلام والعلاقة بين لغة الانطلاق ولغة الهدف وفي الأخير العلاقة بين الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة"⁴

أما فيما يخص العلاقة بين الصورة والكلام فإن طبيعة هذه العلاقة تزامني "فالطابع المهيمن على هذا النوع من الترجمة هو

ضرورة التزام⁵ بين هذه العناصر ولن تتأتى للمترجم تحقيق هذه العلاقة التزامية إذ لم يعتمد تقنية المونتاج التي تسهم في إيجاد المطابقة بين هذه العناصر مما يؤدي إلى الحفاظ على القيمة المشهدية للصور علما أن عامل الزمن له دور فعال في هذه العملية فالتكثيف ضروري مع التعبير على أكبر قدر ممكن من القضايا المطروحة.

أما فيما يتعلق بقضية لغة الانطلاق ولغة الوصول فإن الترجمة إنشاء جديد لنص موجود، إنها إنتاج في اللغة (ب) لنص وضع في اللغة (أ) وترتكز هذه العملية على المعارف الموضوعاتية وعلى الكفايات اللغوية وتتم عملية الإنتاج هذه وفق محطات ثلاث:

أ- فهم النص في لغة الانطلاق.

ب- إنتاج نص في لغة الهدف.

ت- تقييم هذه العملية ومراجعتها.

فالمترجم "لا يترجم كلمات ولا حتى جملا، بل يترجم نصوصا، لكن إذا ترجم المترجم نصا من النصوص فهو لا يترجمه في كليته لأن نقل النص نقلا كليا إنما يعني تكراره لا ترجمته. فالمترجم يترجم جوهر النص وعليه فالترجمة تعني نقل جوهر النص من لغة إلى أخرى"⁶ ويقصد بجوهر النص النص في شموليته، وقد اتسع هذا النص ليشتمل على الجوانب المفهومية والانفعالية والشكلية والمعاني الظاهرة والمضمرة وبكلمة أخرى جوهر النص يعني، الجمع بين المؤلف والسياق والمقصدية "وعلى الرغم من هيام [النص] في ترجمات متعددة مختلفة يظل مشدودا إلى منبعه ومنبته، إلى عنصره الأساس، لغة الأم"⁷ هذه هي إذن علاقة نص المصدر بنص الوصول، علاقة متجددة بتجدد الترجمات وتنوعها إذ يغترب النص عن أهله

ليظهر في ديباجة أخرى لا تقوم مقام النص الأصل ولكنها تقترب منه وترتبط به.

أما أخيرا العلاقة بين الشفرة المنطوقة والشفرة المكتوبة فإن عملية الانتقال من المنطوق إلى المكتوب تعد عملية عكسية بالنسبة للمترجم الذي يقوم في الترجمة الفورية وفي الدبلجة مثلا بالانتقال من المكتوب إلى المنطوق وهنا تقف إكراهات عدة لتؤطر هذه العملية القائمة أساسا على مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي يحتم على المترجم انتقاء واختيار الألفاظ الأكثر دلالة والأكثر قدرة على حمل مختلف الشحنات التي يحملها اللفظ المنطوق بالإضافة إلى إكراهات أخرى قد يكون الحيز المكاني للعرض المكتوب وحيزه الزمني، من العوائق التي تحد من حرية المترجم وتضعه أمام امتحان صعب انتقاء بأقل كلفة ممكنة، انتقاء يسهم في الإيضاح ويضمر الإبهام ويبتعد عنه.

من خلال هذا الطرح نحاول تقديم منهجية في تعليمية هذا النوع من الترجمة بالاعتماد على هذه المعطيات القبلية كما حددها "Yves Gambier" بالإضافة إلى بعض المقترحات النابعة من العمل الميداني مع الطلبة الذين ينجزون بحوثا في هذا النوع من الاختصاص.

الأهداف:

إن الأهداف الأساسية من هذه المادة هي أن يستطيع الطلاب التعرف على الأنواع المختلفة للترجمة السمعية البصرية، باختلاف نوع النص يؤدي بالضرورة إلى اختلاف نوع الترجمة باختلاف الهدف من الترجمة؛ فهناك فئة تميل "إلى الاهتمام باللغة المترجم عنها وكانت ترى من الضروري أن تكون الترجمة حرفية حتى تكون صحيحة ودقيقة وكانت الفئة الثانية تفضل جانب المضمون وترى أن الترجمة الحرفية ترجمة عمياء"⁸ لا تهتم بالمتلقي وبالتالي لا تهتم باللغة المترجم

إليها مما يؤدي إلى تجاهل لغة الوصول وخصوصياتها والهدف من الترجمة ودور المتلقي في هذه العملية- فبالإضافة إلى الوظيفة الاتصالية للغة نجد الوظيفة التعبيرية والوظيفية الجمالية الفنية. هذه الوظائف الثلاث أي نقل المعلومات، ونقل العواطف والأحاسيس، وتحقيق الأثر الجمالي هي التي تحقق الاتجاه الوظيفي للنص ومن ثم الترجمة.

إن تحديد مختلف أنواع الترجمة السمعية البصرية هو تأطير منهجي للطالب بحيث يستطيع بناء على هذا التحديد للأصناف النوعية لهذه الترجمة المنضوية تحت محورين: الدوبلاج والعنونة في السينما والمسرح والأوبرا وبعض الشرائط أو الريبورتاجات والترجمة الفورية في المؤتمرات والملتقيات، إنها ترجمة انتقائية تجمع بين التكيف والتعديل وإعادة الصياغة مع مراعاة عامل الزمن الخاص بتلقي هذه الترجمات وقرائها وفهمها وربطها بالأصول.

لقد جمعت الترجمة السمعية البصرية بين كل من الترجمة التحريرية والترجمة الفورية مما بصمها بطابعين معاً طابع الكتابة وما ينجر عنها من إكراهات وعقبات نعلم الطالب طرق التعامل معها بشكل انتقائي وليس بشكل عام لأن المتعلم مطالب بتعلم التكيف مع مختلف الأوضاع ومطالب " بهضم المبادئ التي تساعد على اكتشاف الحلول المطبقة في أوضاع حقيقية سوف يجد نفسه مقحماً فيها عندما يمارس مهنته في الحياة العملية"⁹ فليس هناك ترجمة واحدة ولا تكمن مهمة الأستاذ المدرس في تصحيح أخطاء الطلبة بقدر ما تكمن في توجيههم إلى التعاطي مع مختلف أنواع الوضعيات الممكنة فليست الترجمة مجرد نقل حرفي لخطاب ما مع الارتباط بمستوياته الشكلية وإنما الترجمة هي تحويل لنتاج كلامي من لغة إلى لغة أخرى مع الحفاظ

على العنصر الثابت والذي يدعى دلالة أو مضمونا- مع التأكيد على خصوصية النوع وكيفية تمايز الترجمة تبعا لهذه الخصوصية.

1- تحديد الأهداف:

تكمّن أهمية تحديد الهدف في هذا النوع من الترجمة في كونها توضح معالم الطريق للقائمين على تحديد البرامج والمقررات بتحديد المادة التي تقوم عليها مما يسهم في توضيح الطريق للأستاذ فيصمم مادة ينتقيها بناء على هذه الأهداف "فلا بد من امتلاك الاستراتيجيات الخاصة بالترجمة السمعية البصرية بكل أنواعها"¹⁰ وامتلاك هذه الاستراتيجيات يمكن الأستاذ من الملازمة بين مستوى المادة التعليمية ومستوى الطلبة والتدرج في تحديد هذه الأهداف وتوزيعها على مكونات المادة القائمة على معرفة شاملة للنصوص بوصفها مكونا لسانيا يمثل عنصرا من العناصر المشكلة لهذه الترجمة سواء أكان نقطة انطلاق أو نقطة وصول وبعبارة أخرى سواء انطلقنا من الكتابي إلى الشفهي كما هو حال السيناريو في السينما حيث يخضع المترجم المنطق اللغوي إلى المنطق البصري والشفهي أو انطلقنا من الشفهي إلى الكتابي كما هو حال العنوان التي تدل على "فيلم أجنبي ناطق يعرض في نسخته الأصلية معتمدا على الترجمة المكثفة لنص الحوار في أسفل الصورة"¹¹ فلا يحصل المشاهد إلا قدرا ضئيلا من المادة المنطوقة تظهر في أسفل الشاشة على شكل ترجمة تقريبية تحافظ على تزامنها مع الصورة وتحافظ على الحيز المكاني المتروك لها في أسفل الشاشة.

تطلب إذن عملية تحديد الأهداف من الأستاذ القيام بجرد واضح للمسار المرجو الوصول إليه فيحدد بذلك الغايات التي يصبو

إلى تحقيقها من خلال تدريس كل مكون من مكونات الترجمة ونقصد بها:

أ- مكون البحث الوثائقي.

ب - مكون تحليل النص (اللغوي + غير اللغوي).

ج - مكون الترجمة (العناصر اللغوية +الوسائل التقنية).

وقبل الخوض في تحديد كل مكون على حدة يجدر بنا أولاً توضيح بعض القضايا ذات الصلة المهنية الخاصة بهذا النوع من الترجمات فالإنتاج النهائي موجه لمتلقي مستهلك للأفلام والأشرطة والرسوم وغيرها من مختلف أنواع النصوص وعندما يتخصص الطالب في الترجمة السمعية البصرية فهو بذلك يطمأ عتبة يندمج فيها اللغوي وغير اللغوي بالإضافة إلى التقني وعملية التسويق التي تتطلب تمويلاً وسرعة إنجاز ووسائل خاصة هي قضايا تدخل كلها في المسلسل الفعلي للتكوين أولاً وللعمل ثانياً.

بالإضافة إلى هذه الأهداف العامة تنبثق عنها أهداف خاصة يتوخاها الأستاذ كي يبسط العملية بتجزئتها إلى العناصر المكونة لها مما يعطيه إمكانية لمقاربة كل جريئة على حدة فيضبط بدقة وتركيز المادة المنتقاة والأنشطة التعليمية القادرة على استفزاز الطالب ودفعه إلى البحث والتنقيب في وجهة محددة تخدم مجال تخصصه فإذا كان الهدف العام اكتساب مبادئ أولى للترجمة السمعية البصرية فإن الهدف الخاص هو تمييز أنواع النصوص مع التركيز على نماذج تطبيقية تمكن الطالب من إدراك الحدود الفاصلة التي تؤطر المفهوم ولا تسمح بتداخله مع أنواع أخرى.

إن طريقة تدريس الترجمة السمعية البصرية هي تلك الخطوات التعليمية والتعليمية التي تحدث داخل القاعة وتخضع لأهداف معدة مسبقا تصبو إلى تسهيل التواصل التعليمي بين الأستاذ والطلبة مراعيًا في ذلك الأهداف أولا ومستوى الفئة المستهدفة والوسائل العلمية المتوفرة من كتب نظرية وشرائط تسجيل وأفلام وأنواع من السيناريوهات تشكل المتن الذي ينطلق منه الطالب، ويخضع للمناقشة الجماعية الموجهة التي تثمر في نهاية المطاف عملا جماعيا ينم عن روح تعاون ونقيب وبحث ونقد يسهم في تقييم مختلف الترجمات المقترحة من طرف الطلبة ومراجعتها حتى يتسنى للطلاب تعلم هذه المنهجية ويتمكن الأستاذ من معرفة مدى نجاح أو فشل الطريقة في تحقيق الأهداف. "فيجب على الرسالة ألا تتضمن كمية من الأخبار تتجاوز عتبة التقبل فسجل التلميذ هو في طور التكوين كما أن وضعيته تتطلب في كل فترة درجة من الأصالة قابلة لاستيعاب الرسالة الجديدة".¹²

أ- مكون البحث الوثائقي:

أمام الكم الهائل والتنوع الكبير للمواضيع التي تظهر في النصوص السمعية البصرية يجد الطالب نفسه ملزما أن يتعامل مع هذه النصوص من جانبين: الجانب اللغوي البحث، والذي يفترض أنه قد درسه قبل تخصصه لأن الجانب اللغوي على حد قول "رومان ياكسبون غير معزول عن جوانب أخرى" فغالبا ما نستبدل في الترجمة من لغة إلى أخرى إرساليات في لغة من اللغات ليس بوحدات معزولة وإنما بإرساليات كاملة من اللغة الأخرى وتعد هذه الترجمة نوعا من الخطاب غير المباشر فالمرجم يعيد الترميز ويعيد نقل إرسالية آتية من مصدر آخر وبهذا تستلزم الترجمة إرساليتين متكافئتين في نظامين

رمزيين مختلفين" ¹³ فهو مطالب بمعرفة خصوصيات هذا الجانب وطبيعة تواجده ضمن الإرسالية السمعية البصرية.

وبالإضافة إلى هذا الجانب اللغوي يتعامل مع جوانب خارجة عن اللغة فيلجأ إلى المصادر الوثائقية كي يتخطى الصعوبات الناجمة عن تنوع مصادر الإرسالية ويتعين عليه أن يوجد انسجاماً "بين المضمون المعرفي والصوت والإشارة والمعينات البصرية والأشكال والجدول والتصاميم والعينات والصور والدعامات البيداغوجية" ¹⁴ الأخرى فالبحث الوثائقي يستند على المعرفة الموسوعية التي تفتح الآفاق للطالب كي يلامس الموضوع في لغته الأصلية أولاً ثم في اللغة الثانية "فالموسوعات تقدم معلومات تعليمية أساسية للتلميذ والمجالات العلمية والتقنية تمكنه من تنويع معارفه حول الموضوع الذي يبحث فيه أما الكتاب المتخصص فيزوده بمعرفة عميقة بموضوعه" ¹⁵

وبناء على هذا الأساس تتقاسم مرحلة البحث والتوثيق في النصوص السمعية البصرية محورين: محور لغوي محض ومحور غير لغوي؛ يستثمر فيهما الطالب المراجع التي تمكنه من الضبط الدقيق للمصطلحات بوجود وثائق كافية عن الموضوع المطروق وتمييز الوثائق السمعية البصرية التي يركز عليها باستثمار هذه الوثائق عبر القراءة المتسائلة للخطاب اللغوي وقرينه غير اللغوي ومحاولة الدمج بين الخطوتين لتشكيل نظرة شاملة قائمة على تفكيك العناصر المشكلة للوثائق السمعية البصرية وتحليلها للاستفادة من العناصر الدالة التي تخدم موضوعه.

مكون التحليل النصي اللغوي وغير اللغوي:

إن الحديث عن مكون التحليل النصي في الترجمة السمعية البصرية يحيلنا إلى النظر إلى مفهوم النص نظرة شمولية بحيث يتسع

ليشتمل الجانب الشفهي، والبصري من التعبير يجب "استثمار تمظهراته في المجال التعليمي عامة وفي درس الترجمة على وجه الخصوص، إذ لا ينبغي حصر ميدان البحث المعرفي وعملية الانتقال بين اللغات فيما هو مكتوب فقط ولا سيما وأن اعتماد نصوص غير مكتوبة (أشرطة تسجيل، أفلام وثائقية، رسوم... وغيرها) من شأنه أن ينمي أدوات معرفية ومهارات تربوية أخرى"¹⁶ لكن الأمر بالنسبة للترجمة السمعية البصرية لا يمكن النظر إلى هذه الوسائل بوصفها وسائل مساعدة وإنما هي مرتكزات بحثية لا بد من تفكيك شفراتها وتحليلها للمقارنة بين الإرسالية اللغوية وما عبرت عنه الوسائط غير اللغوية المحكومة بإكراهات تقنية بالدرجة الأولى تتدخل في ضبط هذه العملية وتحكم في ما نراه حذفًا أو تكثيفًا أو إضافة للمصدر.

ترى "كريستين دي ريو" أن الهدف من هذا المكون هو تعليم الطلبة وتوجيههم نحو تبني منهجية عمل قابلة للتطبيق في ظروف مختلفة ولن تتأتى له هذه المعرفة المنهجية إلا بمعرفة مكونات نص المصدر من عناصر لغوية وغير لغوية وفهم الرسالة المتضمنة فيه لإعادة إنتاجها في لغة الآخر بوسائط مختلفة على حسب النوع الذي تنتمي إليه. ومن هنا فالقضايا التقنية المتعلقة بالمنشآت والآلات التي تستخدم في كل نوع من هذه الأنواع تعد وسائل تدخل في البنية التكوينية للنص ولهذا يجب على المترجم أن يلامس هذه الوسائل وأن يتعرف على مكوناتها ولو بشكل عام وطرق استخدامها واستعمالاتها المختلفة كي يتسنى له التعامل المباشر مع هذه الوسائل التي سوف يحتاج إليها "وكذلك عملية التسجيل، أشرطة التسجيل، والشرط الصوتي آثاره الخاصة وما يترك في النص الأصلي، ما يجب أن يترجم، حدود المقاطع"¹⁷ وبكلمة آخر أي نوع من أنواع الحذف ضروري لهذا الصنف من الترجمة وأين يتوجب استخدام الاقتصاد

اللغوي، وكيف نحقق عنصر التزامن بين الصوت / الصورة والكلام، ونعني بالصوت هنا دخول عناصر صوتية أخرى مشكلة لهذه الإرسالية التي تظهر اللغة فيها عنصرًا إلى جانب عناصر مرسلّة باثّة للخطاب - فالعنونة على سبيل المثال تمثل نموذجًا جيدًا يمكن التدرّب عليه لمعرفة مختلف الوظائف التي تشترك في البعض منها أنواع الترجمات الأخرى، فمن الوظيفة التقويضية إلى الوظيفة التواصلية والوظيفة الانفعالية والإبدالية والترسيخية تقدم العنونة إكراهات أخرى تقنية بالدرجة الأولى تتطلب من الأستاذ تعويد الطلبة على مراعاة طول الحاشية المتروكة للعنونة والمدة الزمنية التي تبقى فيها ظاهرة على الشاشة حتى يدرك هؤلاء الطلبة ما يجب حذفه وما يجب ترجمته وما يجب إخضاعه لعملية القص لدخول اعتبارات أخرى تكون عائقًا دون ظهور الأصل كما هو " فالقص في ميدان الترجمة السمعية البصرية يشمل كل ما يتعلق بالسياسة والأخلاق والأيدولوجيات المهيمنة والتي تضطره-أي المترجم - اضطرارًا للقص الذاتي من جهة أو التضمين¹⁸ بالجوء إلى الوسائل اللغوية المتاحة من مجاز واستعارة وأساليب أخرى. لكن القص لا يجب أن يكون على حساب المضمون، كما يجب أن تتزّوج الصورة مع الكلمة في العنونة كي تؤدي معنا الدلالة المتضمنة فيها. إذ إن عملية المزوجة هذه تستثمر ما في الصورة خدمة للنص المكتوب المحكوم بحيز مكاني وزمن محدد لا يحيد عنهما ولهذا يقترح العاملون في هذا الحقل مجموعة مبادئ وتعليمات على المترجم التقيد بها عندما يقف وجهًا لوجه أمام الإكراهات التقنية لعملية العنونة¹⁹.

مكون الترجمة وتعلم استراتيجية لكل نوع من أنواع الترجمة السمعية البصرية:

1. الدبلجة:

من مرتكزات الدبلجة الأساسية عنصر التزامن ومن هنا وجب على مدرس الترجمة في هذا النوع أن يدرّب الطلبة على مختلف أنواع التزامن حتى يتسنى لهم التمييز بين التزامن الصوتي وبين المزج بين الأصوات المختلفة التي تدخل عناصر دالة إلى جانب العناصر اللغوية، فنبذة الصوت وموسيقى الفيلم والمؤثرات الصوتية تخدم كلها اللغة والصورة ولهذا تتدرج العملية الترجمة في هذا النوع وتمر بمراحل محددة تبدأ بالترجمة التي قوامها العنصر اللغوي أي تحويل المادة المكتوبة إلى مادة منطوقة يقتصد فيها المترجم الجوانب اللغوية لأنه يعول على مصادر أخرى تزواج هذه المادة اللغوية المتميزة بالثبات وتساعد على تحقيق العملية التواصلية.

- ثم تأتي مرحلة الضبط التي يعاد فيها النظر مرة أخرى في قضية التزامن لأن "دبلجة السينما مثلا تحكمها ضرورات التزامن التي تفرض إطارا ماديا صارما يعطي الأولوية لتوالي فتح الفم وإغلاقه"²⁰ تليه مرحلة المزج والمونتاج ومن ثم الإنتاج الذي سوف يعهد به لتقنيين متخصصين يتعاقدون مع المترجم خدمة للمتلقّي المشاهد.

- يلامس الطالب أيضا في هذا المجال قضية تطبيق استراتيجية تركيز المعلومات ويتدرّب على إعداد التلخيصات التي تمكنه من استخراج العناصر المهمة والمحافظة عليها في ترجمة الحوار السينمائي وفي العنونة حيث يتم التنسيق بين الصورة والترجمة المكتوبة التي تستعمل الاقتصاد حتى لا يجد المترجم نفسه مضطرا إلى استخدام هامش لقطة أخرى مما يشوش على المتلقّي، وتنسم هذه العملية

بالاضطراب ومن ثم ضياع الرسالة. فتكثيف المعلومات يعني نقل أكبر قدر ممكن من الدلالات باستخدام أقل عدد ممكن من الوحدات المعجمية. فعلى حد تعبير موان "على المترجم أن ينتقي ويختار لكن مع تحقيق أقل ضررا وعليه أيضا التمييز بين ما هو جوهري وبين ما هو إضافي وعرضي".²¹

وخلاصة القول إن المواد التي تحتاج إليها الترجمة السمعية البصرية هي نصوص من هذا النوع مع التأكيد على وجود أصولها المكتوبة التي تعطي قدرة على التحليل والمدراسة والمقارنة. ومن الأهمية بمكان لتدريس هذا النوع من الترجمة وجود قاعات مجهزة بالوسائل الضرورية للقيام بالدبلجة أو لدراسة العنونة كي يلامس الطالب مباشرة وبشكل ميداني العملية الترجمية ضمن هذا الاختصاص لكن مع التأكيد على ضرورة التدرج في انتقاء النصوص من السهل إلى الأكثر صعوبة، فالصعب الذي يحتاج إلى عمل وجهد كبيرين "فالارتكاز على هذا التدرج في انتقاء النماذج للأعمال التطبيقية يعني وجود ثلاثة محاور تنبثق منها هذه الصعوبة صعوبة في التحرير وصعوبة في البحث الوثائقي والمصطلحاتي وتداخل تقنيات مختلفة"²² على الطلبة التعود على أنواع النصوص السمعية البصرية والعمل بشكل كبير على تمثيل الخطاب المكتوب بالصوت والصورة ثم التفاعل بين الصورة والكلمة وتوضيح المعوقات التي قد تدخل في هذه العملية فتشوش عليها مما يضطر المترجم إلى تغيير تام في نص المصدر لأنه يتنافى والتقاليد أو الأخلاق أو العادات والدين للمجتمع المستقبل للنص المترجم لكن العنونة تتيح إمكانية للمقارنة "فالقص فيها لا يبدو معقولا على اعتبار أننا دائما قادرين على سماع الحوارات في لغتها الأصلية مما يمكننا من تقييم التغيرات التي طرأت عليها من طرف المترجم"²³ وعليه يمكن للطالب أن يقارن بين مادتين: مادة النص المنطوق ومادة

الحاشية المكتوبة ليلاحظ ويبرر مختلف الإكراهات التي دفعت بالمترجم إلى استخدام إما اقتصاد لغوي أو قص أو تحويل موجه خدمة لمتلقي النص في لغة الهدف "فينبغي أن تتم هذه العملية عبر مناقشة الأعراف المختلفة بشأن المتلقي المحتمل المنقول إليه النص".²⁴

في القديم كانت الهيمنة لعصر الاتصال الشفهي "وهو عصر التجمعات القبلية والفكر الذي يتلمس المحسوس. ثم جاء عصر وسائل الإعلام المكتوبة الذي دشنته مطبعة غوتنبرغ - لكن اليوم نحن نعيش في حضارة الصورة التي صارت حقيقة لا نكوص فيها"²⁵ تستلزم نوعا آخر من التكوين المتخصص الذي يجعل من المترجم قادرا على تخطي الكفاءات اللغوية والمعرفية والترجمية ليلاص كفاءات أخرى لها علاقة بالجانب التقني البحث في هذه العملية كما أن المترجم بحاجة إلى تضافر جهود عاملين آخرين توكل إليهم مهمات خاصة بالمجال السمعي - البصري دون أن ننسى أن هذه الترجمة تبقى دائما عملية مثاقفة تهدف إلى استيعاب ما هو منقول إليها ودمجه في السياق الثقافي الخاص لينصهر مؤكدا الالتحام وفق استراتيجيات معينة.

تقوم هذه الاستراتيجيات على تماسك مكونات هذه العملية وتضافرها إذ تعد كل من مرحلة البحث والتوثيق ومرحلة التحليل النصي مرحلتين سابقتين عن مرحلة الترجمة تقومان على إعداد الطلبة لهذه المرحلة كما أن عملية مناقشة مختلف الاقتراحات وتوجيه النقاش في خدمة الأهداف الخاصة ثم العامة فيتمكن الأستاذ من مراقبة مدى تقدم الطلبة ومدى إدراكهم لخصوصية النصوص وبالتالي اختلاف الترجمات مع التأكيد على تحفيز الطلبة على البحث والتوثيق والبحث المصطلحي الذي يحقق لهم الارتكاز ويزودهم بمعارف تجعلهم قادرين على الخوض في هذا النشاط وقد تسلحوا بزاد معرفي وبوسائل تعليمية تكون أكثر فعالية، لأن الترجمة السمعية البصرية قوامها إلى جانب

السند اللغوي الثابت، المؤثرات الصوتية والحركية التي تستثمر خدمة للأهداف المتوخاة من هذه العملية التعليمية.

هوامش:

- 1- Joëlle Redouane, La traduction science et philosophie de la traduction. O.P.U. Alger- Sd. P198.
- 2- Ibid P200.
- 3- Hellal Yamina. La théorie de la traduction- approche thématique et Pluridisciplinaire .O.P.U- Alger -1986. P192-193.
- 4- Yves Gambier. La traduction audiovisuelle- Un genre en expansion -Meta- volume 49-. XIX n°1. 2004 P.1/11.
- 5- Joelle Redouane. Op.cit –P202.
- 6- فاسيليس كوتسيقيتيس - السبيل إلى نظرية لجوهر الترجمة ت: عبد الحليم حزل - مجل ترجمات - السنة الأولى - العدد الأول - فبراير 2006 ص124.
- 7- إعداد خديجة الكو - إبراهيم الخطيب - الترجمة في المغرب - أية وضعية ؟ وأية استراتيجية؟ سلسلة ندوات - أعمال ندوة ماي 2002 - منشورات وزارة الثقافة مطبعة دار المناهل - الرباط - 2003 - ص11.
- 8- رضا ناظميان - الترجمة ومناهجها التطبيقية بين العربية والفارسية - الدار الثقافية للنشر - القاهرة - 2002 - ص38.
- 9- Christine Durieux – Fondement didactique de la traduction technique. Coll traductologie – n°3 Didier érudition Paris -1988. P15.

- 10- أمبارو أوتادو ألبير - تعليم الترجمة - ت: عبد الله محمد إجبيلو وعلي إبراهيم منوني - جامعة الملك سعود - م.ع.س - 2003. ص276
- 11- Merleau Lucien – Les sous-titres Un mal nécessaire ? Meta XXvII n°3-1982 –P273.
- 12- جاكبسون وآخرون. - التواصل نظريات ومقاربات - ت: عز الدين الخطابي وزهور حوتي - منشورات عالم التربية - مطبعة النجاح الجديدة - الدار كالبيضاء - المغرب - 2007 - ص243.
- 13- رومان ياكبسون - المظاهر اللغوية للترجمة ت: عبد المجيد - جحفة - مجلة نقد وفكر - العدد 10. - ص8/2.
- 14- جاكبسون وآخرون - التواصل - ص 244.
- 15- جوهري أحمد - دروس الترجمة - نحو منهجية متماسكة ليداكتيك الترجمة العلمية - مطبعة مصعب - مكناس - المغرب - د ت - ص39.
- 16- م.ن - ص52-53
- 17- أمبارو أوتادو ألبير - م.س - ص276.
- 18- Yves Gambier- Les censures dans la traduction audiovisuelle – traduction terminologie –rédaction. Volume 15. n°2. 2002 P.
- 19- Voir : Merleau Lucien – op.cit P280-281.
- 20- إدمون كاري - الترجمة في العالم الحديث - ت: عبد النبي ذاكر - منشورات مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران - 2004 - ص51.

- 21- Georges Mounin – Les problèmes théoriques de la traduction –.....ed Gallimard. Paris. 1969. P109
- 22- Christine Durieux –op.cit –P 119.
- 23- Yves Gambier- Les censures dans la traduction audiovisuelle –P 6/11 (le sous-titrage)
- 24- أومبارو أوتاردو ألبير - م.س - ص173.
- 25- عباس الصور - في التلقي اللغوي والمعجمي - دار النجاح الجديدة - الدار البيضاء - 2004 - ط1 - ص132.